

البخور عصب تجارة البحر الأحمر في العصور القديمة

* الدكتور : عبد المنعم عبد الحليم سيد

ملخص البحث :

اشتهرت مناطق البحر الأحمر في العصور القديمة بأنها المناطق المنتجة للبخور ، وخاصة ذلك النوع من البخور المعروف باسم « الكندر » (وهو اللبان المألوف لنا) . وكانت أجود أنواعه تجلب من المناطق الواقعة على جانبي خليج عدن في شمال شرق الصومال ، وفي شرق حضرموت ، حيث تنمو أشجاره . وهى نفس المناطق التى تنمو فيها هذه الأشجار في الوقت الحاضر . غير أن سلعة البخور كانت أكثر رواجاً في العصور القديمة بدرجة كبيرة لا تقارن بما هى عليه اليوم من انزواء . وذلك بسبب احتياج القدماء لكميات هائلة وامدادات متواصلة منها لحرقها في معابدهم ومقابرهم نتيجة لارتباط عقائدهم (الوثنية) بالسحر ، واعتقادهم أن للبخور قوة سحرية عند حرقها ، فكانوا على استعداد لدفع أغلى الأثمان في سبيل الحصول عليها . هذا بالإضافة الى أن البخور كانت المادة الرئيسية للتعطير في العصور القديمة .

لكل ذلك كانت سلعة البخور عصب اقتصاد المناطق المنتجة لها ، وأهم سلع البحر الأحمر ، مما دعا أصحابها وفي مقدمتهم العرب القدماء إلى بذل قصارى جهدهم لتأمين مناطق إنتاجها (حيث تنمو أشجارها) داخل بلادهم ، وللسيطرة على هذه المناطق خارج بلادهم (الصومال) ، وكانت تجارة البخور (وغيرها من سلع البحر الأحمر وبخاصة سلع الترف) تسلك عدة طرق برية وبحرية من جنوب البحر الأحمر الى شماله . وأهم الطرق البرية كان الطريق الممتد على الجانب الآسيوى بينما كان أهم الطرق البحرية يسير بجذاء الساحل الأفريقى للبحر الأحمر .

* استاذ مشارك - قسم التاريخ

سبحان الذى يغير ولا يتغير !! من من القدماء الذين قامت ثروتهم و ثروة بلادهم على تلك السلعة الثمينة ، سلعة البخور ، التى كانت تشغل مركزا رئيسيا فى تجارة العالم القديم بوجه عام ، وفى تجارة البحر الأحمر بوجه خاص ، من كان منهم يتصور أنه سيأتى يوم تنزوى فيه هذه السلعة ، فلا تشغل إلا ركننا متواضعا من التجارة العالمية كما هو حالها اليوم !!

إن هذا الانزواء لم يكن بسبب نضوب البخور من مناطق إنتاجها ، فمازالت هذه المناطق حتى اليوم بها إمكانات إنتاج البخور بنفس الكميات التى كانت تنتجها فى العصور القديمة ، كذلك لم يكن هذا الانزواء بسبب توقف استخدام البخور فى الأغراض التى كانت تستخدم فيها لدى القدماء ، فمازالت أغراض استخدام البخور اليوم هى نفس أغراض استخدامها قديما ، وهى التعطير والأغراض الطبية ، والطقوس الدينية لدى بعض الطوائف مثل الطوائف المسيحية واليهودية وغيرها . وإنما يرجع هذا الانزواء فى أساسه إلى انخفاض الطلب على البخور فى الوقت الحاضر بدرجة كبيرة بالنسبة للعصور القديمة نتيجة لعاملين أساسيين ، أولهما معرفة الانسان لأنواع من العطور أطيب رائحة ، وأقوى تعطيرا ، وأيسر منالاً من البخور ، وبذلك حلت هذه العطور فى الأغراض الدينية محل البخور ، وثانياً وهو العامل الأهم ، تغير نمط التفكير الدينى اليوم عنه عند القدماء ، بعد أن استتارت عقول الناس بالرسالات السماوية ، ويتمثل هذا التغير فى تحرر الفكر الدينى من الارتباط بالسحر ، الذى كان يسيطر على العقائد الوثنية عند القدماء ، فقد كانوا يعتقدون أن للبخور قوة سحرية عندما تحرق فى معابد الآلهة أو فى مقابر الموتى ، وتتمثل هذه القوة فى جذب الآلهة إلى معابدها من أماكنها فى الفضاء ، وكانوا عندما يشاهدون حلقات البخور المتصاعدة وهى تدور وتتولى فى الفضاء فى شكل دوائر وحلقات حلزونية – يتصورون أن هذه الأشكال ما هى إلا درجات سلم حلزونية تستخدمه الآلهة فى النزول إلى الأرض تجذبهم إلى المعبد رائحة البخور العبقة !!

هكذا كانت نظرة القدماء إلى البخور ، فهى لم تكن مجرد وسيلة لتعطير المعابد وإضفاء جو من الرهبة أثناء ممارسة الطقوس الدينية كما هو الغرض منها اليوم عند بعض الطوائف الدينية ، بل كانت لها منزلة وقدسية خاصة باعتبارها – فى نظر القدماء – الوسيلة بين الآلهة والناس !!

وقد أضفى هذا التقديس على البخور نوعاً من التحريم – شأن كل ما هو محل تقديس عند الشعوب البدائية أو القديمة – وامتد هذا التحريم إلى مناطق إنتاج البخور نفسها ، فقد كان الرجال الذين يجمعون محصول البخور فى جنوب الجزيرة العربية يخضعون لاجراءات صارمة – كما أخبرنا بذلك أحد كتاب الرومان من القرن الأول الميلادى^(١) – منها عدم اقترابهم من النساء طوال موسم جمع المحصول وعدم اشتراكهم فى جنازة ميت .

وتظهر الصلة بين السحر وبين البخور بوجه خاص فى العقائد الجنازية (أى المرتبطة بالموت وبالدفن والمقابر) عند المصريين القدماء ، فبالإضافة إلى استخدامهم للبخور فى الطقوس الدينية فى معابدهم مصطبغة بالاعتقاد فى السحر شأن سائر الشعوب الوثنية القديمة ، فقد انفرد المصريون القدماء باستخدام البخور فى المقابر بطريقة تتمشى مع عقيدتهم الخاصة بالبعث والخلود بعد الموت ،

وهي ضرورة تخليد الجسم والروح . وكانت عقيدة المصريين في هذه الناحية تغلب عليها الأفكار المادية الساذجة إذ اعتقدوا أن الروح في حاجة دائمة بعد الموت إلى التمتع بالقرايين لاكتساب التجدد ، وبالتالي الخلود في الحياة الأخرى ، ولاكساب الروح هذا التجدد كان لابد من استدعائها من أن لاخر لتقديم القرايين لها . وكان هذا الاستدعاء يتم في مزار المقبرة الواقع فوق سطح الأرض بقراءة تعاويذ خاصة يصاحبها حرق البخور ، فتصعد الروح من مسكنها للتمتع بهذه القرايين . ولم يكن هذا المسكن سوى جثة المتوفى ، إذ اعتقد المصريون أن الروح تسكن الجثة بعد الموت كما كانت تسكن الجسم في الحياة الدنيا ، ومن هنا كان لابد في نظرهم من المحافظة على هذا المسكن من الفناء ، لهذا ابتكروا التحنيط وبرعوا فيه . وفي ممارستهم لتحنيط الجثة احتاج المصريون القدماء لكميات كبيرة من البخور لتعقيم الجثة لوقايتها من التلف ، ولتعطيرها وتعطير أماكن ممارسة عمليات التحنيط لتغطية الروائح غير المقبولة التي تتصاعد منها ، ثم لاجراء الطقوس الجنائزية على المومياء (الجثة المحنطة) قبل الدفن .

هذه الأفكار التي انفرد بها المصريون القدماء عن سائر الشعوب القديمة ، كان لها دور كبير في احتياج المصريين إلى كميات ضخمة من البخور والى مدد مستمر من هذه السلعة ، فكانوا أكثر الشعوب القديمة طلبا لها ، كما كانوا أقدم الشعوب التي خرجت إلى البحر الأحمر بحثا عن هذه السلعة وعن مناطق إنتاجها .

ومهما كانت ساذجة هذه الأفكار سواء أفكار المصريين القدماء من مادية الحياة الأخرى وما يتصل بها من تحنيط للجثة وتقديم القرايين للروح ، أو أفكار الشعوب الوثنية القديمة عامة (بما فيهم المصريون القدماء) بشأن ممارسة الطقوس السحرية لاستحضار الآلهة للمعابد ، فإن هذه الأفكار كان لها الفضل الأكبر في رواج تجارة البخور في العصور القديمة ، رواج جعل من هذه السلعة الدعامة الأساسية في اقتصاد البلاد والمناطق التي كانت تنتجها .

ولكن أى نوع من البخور استخدمه القدماء في هذه الأغراض ؟

في الحقيقة هناك أنواع متعددة من البخور ، ولكن النوع الذى كان القدماء يفضلون استخدامه في الأغراض التي ذكرناها هو النوع المعروف حاليا باسم « الكندر »^(٢) ويستخرج من أشجار تنمو بريا في بعض المناطق الواقعة على جانبي خليج عدن في شمال شرق الصومال وفي منطقة ظفار في جنوب غرب عمان شرق حضرموت (التي تتاخم الساحل الشمالى لخليج عدن كما هو معروف) . وسوف نرى فيما بعد أن هذه المناطق التي تنتج الكندر حاليا هي نفس مناطق انتاجه في العصور القديمة .

والكندر عصارة شجرة تنتمى للعائلة النباتية المسماة علميا Burseraceae ثم للجنس Genus المسمى علميا Boswellia وتتفرع من هذا الجنس عدة أنواع Species أكثرها انتشارا في المناطق التي ذكرناها ثلاثة أنواع هي : Boswellia Carteri وينمو في كل من شمال الصومال وفي ظفار ، ولكن يكثر في شمال الصومال (شكل ٦) ثم Boswellia Frereana ويكاد نموه يقتصر على شمال الصومال (شكل ٥) ثم Boswellia Sacra ويقتصر نموه على منطقة ظفار^(٣) (شكل ١ ، ٢) .

وأشجار الكندر هذه تشبه شجرة الصمغ في طبيعتها ، فيستخرج منها الكندر بشق الشجرة فتسيل العصارة التى تتجمد في الحال أسفل الشق ، وتختلف هذه العصارة عن عصارة الصمغ في أن عصارة الكندر لا تذوب في الماء لأنها ليست صمغا بل راتنج صمغى^(٤) .

ولا تختلف طريقة جمع الكندر في الصومال عنها في ظفار في الوقت الحاضر ، ففي ظفار يبدأ شق الشجرة في السنة الثالثة أو الرابعة من عمرها ، ويبدأ موسم الشق من شهر مارس وطوال شهرى أبريل ومايو أى أثناء الفصل الحار عندما تكون الشجرة في أقصى حالات امتلائها بالعصارة^(٥) فتخرج العصارة على هيئة قطرات بيضاء في شكل حبات اللؤلؤ تتحول بعد قليل إلى اللون الأصفر الباهت . وبعد الشق تترك الشجرة لمدة ثلاثة أسابيع تكون العصارة خلالها قد تجمعت وتصلبت فوق اللحاء فتكشط وتجمع في سلال .

والكندر في الحقيقة ليس إلا « اللبان » المؤلف لنا ، وأجود أنواعه المفضلة في التبخير هو ذلك النوع الذى يطلق عليه في اللغة العربية الدارجة اسم « اللبان الذكر » وكلمة « اللبان » هذه ذات أصل عربى قديم وردت في نقوش المسند^(٦) (شكل ٤) ، وقد انتقلت هذه الكلمة القديمة الى اللغة اليونانية فصارت Libanos وإن كان اسمه في بعض اللغات الأوروبية مختلفا عن هذه الكلمة فهو في الانجليزية يسمى Frankincense . أما كلمة « كندر » فهي حضرمية ترجع إلى أصل فارسى^(٧) وقد انتقلت إلى اللغة العربية الفصحى ، ولذلك تستخدم في كتب علم النبات العربية .^(٨)

وتوجد في ظفار ثلاثة أنواع من الكندر تختلف باختلاف المناطق ومدى ارتفاعها وابتعادها عن الساحل ، فالنوع الذى تنمو أشجاره قرب ساحل ظفار يسمى « شعبى » وهو أقل الأنواع جودة ، يليه النوع الذى ينمو على جبال القراء الممتدة وراء الساحل ويسمى « شدرى » وهو نوع جيد ، ثم النوع الذى ينمو فوق المرتفعات وراء الجبال ويسمى « نجدى » وهو نوع جيد أيضا .^(٩) ويلاحظ أن الظروف الطبيعية تضافرت في منطقة ظفار لتجعل من كندر ظفار نوعا ممتازا مما أدى إلى رواجه الكبير في أسواق العالم القديم ، فالكندر يجود إذا نمت أشجاره فوق مناطق مرتفعة شحيحة المطر ولكن في بيئة ملبدة بالسحب ، وهذه الظروف كلها تتوفر في ظفار ، ذلك أن الرياح الموسمية الجنوبية الغربية المحملة بالرطوبة من جراء مرورها فوق البحر ، عندما تصل الى خط الساحل تتسبب في تكوين ضباب وطبقات من السحب المتراكمة على منحدرات جبال القراء^(١٠) ، فتتوفر بذلك الظروف الثلاثة الملائمة لنمو أشجار الكندر الجيد وهى الارتفاع والجفاف النسبى والجو الملبد بالسحب والضباب .

ومن الطريف أن كتاب اليونان والرومان القدماء وصفوا لنا الظروف الطبيعية التى تسود منطقة ظفار هذه في القرن الأول الميلادى ، فقال أحدهم أن هذه المنطقة (التى أطلقوا عليها اسم « سخاليتس » كما سنذكر بعد) تتميز بأنها منطقة جبلية يسودها جو رطب^(١١) ، وهى كما لرى نفس الظروف السائدة في منطقة ظفار في الوقت الحاضر .

وإذا انتقلنا لوصف منطقة نمو أشجار الكندر في شمال الصومال نجد أن الظروف الطبيعية التى تسودها تشبه إلى حد كبير - إن لم تكن تطابق - الظروف الطبيعية في منطقة ظفار ، فتنمو أشجار الكندر

فوق المرتفعات والجبال الموازية للساحل الشمالى الشرقى للصومال وخاصة في المنطقة الممتدة من رأس جردفوى شرقا إلى ميناء بندر قاسم ثم ميناء ميد غربا . ويعد هذه المنطقة ثقل أشجار الكندر وتكثر أشجار المر (وهو نوع آخر من البخور أقل جودة) حتى تغلب أشجار المر في أقصى الغرب بالقرب من زيلع وبربرة . ويوجد نوعان رئيسيان من الكندر في شمال شرق الصومال ، النوع الجيد الذى ينمو فوق المرتفعات القريبة من الساحل ويعرف لدى الصوماليين باسم « ميدى » وهو المعروف علميا باسم B. Frereana كما سبق أن ذكرنا ، ثم النوع الذى ينمو في الداخل ويعرف باسم « محر » وهو المعروف علميا باسم B. Carteri وهو أقل جودة .

وطريقة جمع محصول الكندر في الصومال هي نفس الطريقة المتبعة في ظفار تقريرا ، فيبدأ شق الشجرة في شهر فبراير وتستمر عملية الشق طوال شهرى مارس وأبريل (١٢) ويتم جمع المحصول طوال هذه المدة .

ويلاحظ أن اسماء عملية استخراج الكندر من الأشجار وأسماء الأدوات المستخدمة في ذلك عربية الأصل مما يدل على الارتباط بين سكان منطقتي نمو الكندر في شمال الصومال وفي جنوب الجزيرة العربية ، فمثلا يسمى الصوماليون عملية شق الأشجار « زرع » ويسمون الاناء الذى يجمعون فيه العصارة المتجمدة « زنبيل » بل أن أداة شق الأشجار (وهي تشبه السكين) لها اسم واحد في كل من الصومال (١٣) وظفار هو « منجف » وهى كلمة حضرمية الأصل . (١٤)

والأنواع الجيدة من الكندر في كل من الصومال وظفار هي التى تنمو بين شقوق الصخور ، ويتميز النوعان B. Frereana و B. Carteri بوجود انتفاخ اسفل جذع الشجرة عند اتصاله بالأرض (شكل ٦٠٥) ويفسر الباحثون الغرض منه بأنه لتثبيت الشجرة فوق الأرض نظرا لنمو الشجرة بين الصخور (١٥) ولطولها الفارع ، إذ يتراوح ارتفاع الشجرة الأولى بين ٤,٥ - ٧,٥ مترا ، تليها الشجرة الثانية فهى أقصر قليلا أما شجرة B. Sacra فلا يوجد بها هذا الانتفاخ نظرا لقصرها إذ يبلغ ارتفاعها في المتوسط من ٢,٥ - ٣ متر (شكل ١ ، ٢) .

قلنا فيما سبق أن مناطق انتاج الكندر قديما هي نفس مناطق انتاجه حاليا ، وسوف يثبت لنا ذلك من أوصاف الكتاب الكلاسيكيين (كتاب اليونان والرومان) لهذه المناطق ، ولكن قبل أن نستعرض في عرض هذه الأوصاف يحسن أن نعرف بهؤلاء الكتاب وبمؤلفاتهم .

أول هؤلاء الكتاب هو الجغرافى الرومانى « استرابون » (أو « استرابو ») الذى عاش ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول بعده ، وقد ألف كتابا في الجغرافيا خصص الجزء السادس عشر منه لوصف المناطق الواقعة على جانبي البحر الأحمر ، وقد اصطلح الباحثون على اختصار اسم كتابه في العنوان التالى Strabo, Geography, Book XVI .

وثانى هؤلاء الكتاب مؤلف مجهول هو في الغالب بحار يونانى عاش في مصر في القرن الأول الميلادى ١٥/١ وألف كتابا في وصف سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندى وما بها من موانئ ، أطلق عليه اسم Periplus Maris Erythraei وهى عبارة يونانية معناها « الطواف حول البحر الايرتيرى » (أى

البحر الأحمر والمحيط الهندي) ، وغالبا ما يختصر الباحثون اسم هذا الكتاب إلى Periplus فقط مسبوقة باسم الباحث الذى ترجم نص الكتاب .

وثالث هؤلاء الكتاب هو العالم الطبيعى الرومانى « بلينى » الذى عاش فى القرن الأول الميلادى أيضا ، وألف كتابا ضخما فى عدة أجزاء وصف فيه النباتات والحيوانات والسلع التى كانت سائدة فى زمنه ، وتناول فى مواضع متفرقة من هذا الكتاب ، وصف نباتات مناطق البحر الأحمر ومن بينها الكندر وغيره من مواد البخور . وقد اصطلاح الباحثون على اختصار اسم كتابه إلى Pliny, Natural History, Book..

ويمكن أن نضم لهؤلاء : العالم المشهور بطليموس الجغرافى الذى عاش فى مصر فى القرن الثانى الميلادى ، ولو أن مؤلفاته لا تحوى أوصافا تفصيلية لمناطق البحر الأحمر مثل الكتاب المذكورين ، ولكن خريطته التى رسمها لمناطق البحر الأحمر وخاصة للجزيرة العربية تعتبر ذات أهمية فريدة ، وقد اصطلاح الباحثون على اختصار اسم كتابه إلى Ptolemaios (Ptolomy), Geography

إن المتتبع لكتابات هؤلاء الكتاب الكلاسيكيين عن الكندر ، يلاحظ أنهم ميزوا بين كندر الصومال ، وبين كندر الجزيرة العربية بأن أطلقوا على الأول اسم « كندر الشاطيء البعيد » Paratikos ١٥/٢ ، بينما أطلقوا على كندر ظفار اسم « الكندر السخاليى »^(١٦) نسبة إلى الاسم الذى أطلقه هؤلاء الكتاب على خليج القمر فى جنوب ظفار ، وهو Sachalites Sinus وهذا الاسم يرجع فى أصله إلى اسم عربى جنوبى قديم كان يطلق فى نقوش المسند على منطقة ظفار وهو « سائل » أو « ساكلن »^(١٧) ، ويلاحظ أن بقايا هذا الاسم ظلت حتى اليوم فى اسم منطقة « الشحر » (حرف السين فى اللغات القديمة يتحول على السنة الناس بمرور الزمن الى حرف الشين ، وكذلك حرف اللام يتحول إلى حرف الراء ، ويحدث العكس أيضا) وإن كانت منطقة الشحر تقع إلى الغرب من خليج القمر .

ولاشك أيضا أن تسمية « كندر الشاطيء البعيد » هى الأخرى تسمية عربية جنوبية قديمة ، وإن كان الكتاب الكلاسيكيون لم يذكروا الكلمة نفسها وإنما ذكروا ترجمتها (فى كلمة Paratikos التى ذكرناها) ومن الواضح أن هذه التسمية من وجهة نظر سكان الجزيرة العربية الذين كانوا يميزون بها بين كندر الصومال وبين كندر بلادهم ، وكان جزء كبير من انتاج الصومال من الكندر يجلب إلى موانئ الجزيرة العربية وخاصة ميناء « مخا » (واسمه « موزا » فى كتابات الكلاسيكيين) حيث يعاد تصديره إلى البلاد الواقعة فى شمال البحر الأحمر (فى العصر اليونانى الرومانى) وخاصة مصر . ويلاحظ أن هذه الظاهرة ، أى ظاهرة تسويق إنتاج الصومال من الكندر عن طريق موانئ الجزيرة العربية ، ظلت باقية إلى عهد قريب ، فقد كان أغلب محصول شمال الصومال من الكندر يرسل إلى ميناء عدن لتصديره إلى كافة أسواق العالم حتى الخمسينات من القرن الحالى .^(١٨) وقد أطلق الكتاب الكلاسيكيون اسما أكثر تحديدا على منطقة نمو أشجار الكندر فى ظفار هو Libanotophoros ومعناه « المنطقة المنتجة للكندر (اللبان) » وورد هذا الاسم فى كتاب البربلوس^(١٩) .

ومن الواضح أن كلمة « لبنان » وهو الاسم العربى الجنوبي القديم للكندر كما سبق أن قلنا ، يدخل في تركيب هذا الاسم اليونانى ، وقد وردت هذه الكلمة (وبالتحديد كلمة « لبنى » التى يمكن أن تنطق « لبنائى » أو « لبنائى » أو « لبنائى » لأن اللغة العربية الجنوبية القديمة لا توجد بها حروف متحركة شأن اللغة العربية الحالية ، ولكن على أى حال فإن الكلمة القديمة تحوى الحروف الساكنة الثلاثة اى اللام والباء والنون التى تدخل في تركيب كلمة « لبنان ») - وردت كلمة « لبنى » هذه على محارق البخور اليمنية القديمة ومنها محرق بخور يرجع إلى القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد ويوجد حاليا في متحف صنعاء^(٢٠) ولكن لاشك أن استخدام الكلمة في نقوش المسند يرجع إلى ما قبل ذلك بكثير ، لأنها ظهرت في السجلات اليونانية القديمة ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد .^(٢١)

كما وردت أيضا كلمة « بخور » التى نستخدمها في لغتنا اليوم - وردت في نقوش المسند بنفس معناها الحالى ، ولكن لا يعرف نطقها بالضبط ، مثلها مثل كلمة « لبنان » التى ذكرناها ، ولكنها مثل كلمة « لبنان » ، تشتمل على الحروف الساكنة الثلاثة وهى « بحر » كما وردت أيضا بصيغة « أبخر »^(٢٢) .

وقد وصف الكتاب الكلاسيكيون أيضا الموانئ التى كان الكندر يصدر منها في جنوب ظفار وحضرموت ، ومن هذا الوصف يتضح أنه كانت توجد ثلاثة موانئ رئيسية لتصديره هى من الشرق إلى الغرب : ميناء كان الكتاب الكلاسيكيون يسمونه « موسكا Moscha » ومكانه الآن « خوررورى » ، وهو موقع كان يسمى في نقوش المسند « سمهرم » (أو « سمرم ») ، ثم ميناء « ساجروس Syagnus » ومكانه الحالى « رأس فرتك » ، وأخيرا ميناء « كانا Cana » وهو محور عن الاسم العربى القديم « قنأ » ومكانه الآن الموقع المسمى « بئر على »^(٢٣) .

وقد انبأنا الكتاب الكلاسيكيون أن محصول الكندر كان ينقل بالقوافل من مناطق نمو أشجاره في الداخل إلى ساحل البحر ويتم تجميعه في مينائى « موسكا » و « ساجروس » ، ومن هذين المينائين كان الكندر ينقل بالبحر نحو الغرب إلى ميناء « قنأ » ، إما في قوارب أو فوق أطواف خشبية تحملها قرب منفوحة^(٢٤) ، وكان هذا النقل يتم خلال فصل الشتاء ، ومن الواضح أن سبب هذا التوقيت هو الاستفادة من الرياح الموسمية الشمالية الشرقية التى تدفع هذه القوارب والأطواف من الشرق إلى الغرب ، ومازال هذا التوقيت متبعا حتى اليوم .^(٢٥)

وبعد وصول الكندر إلى ميناء قنأ ، كان نقله يستمر إما بحرا ، أو برا بالقوافل إلى « شبوة » العاصمة القديمة لدولة حضرموت ، (ويلاحظ أن كلا الاسمين قديمان وأنهما مازالا باقيين حتى اليوم) ثم إلى « تمنع » (هجر كحلان الحالية في وادى بيحان) عاصمة دولة قتبان القديمة ، ومنها إلى سائر عواصم الدول العربية القديمة مثل مأرب عاصمة دولة سبأ ، ومعين عاصمة دولة معين القديمة ، التى تقع في وادى الجوف في شمال اليمن ، ومازال اسمها القديم باقيا أيضا الى اليوم . من هذا نرى أن تجارة الكندر كانت تمر بعواصم الدول العربية القديمة ، والحقيقة أن كل دولة من هذه الدول كانت تحرص أشد الحرص على مرور هذه التجارة الثمينة في أراضيها ، كما كان من

مصلحتها تأمينها وضمان استمرارها ، ذلك اننا نلاحظ أنه رغم ما كان ينشب بين هذه الدول من حروب ، فان تجارة الكندر لم تكن تتوقف في أغلب الأحيان ، فقد كانت هذه الدول على ما يبدو تترك مدى ما يحق بها من خسارة سوف تعم عليها كلها إذا ما توقفت تجارة الكندر .

ولاشك أن الدولة التي كان يقع عليها العبء الأكبر في تأمين تجارة الكندر ، هي دولة حضرموت ، لوقوع منطقة نمو أشجار الكندر الرئيسية (منطقة ظفار) في أراضيها ، وكذلك الميناء . الرئيسى لتصديره (ميناء خوررورى) فشيده ملوكها القلاع والحصون في هذه المناطق لهذا الغرض ، ودليل ذلك العثور على اسم أحد هؤلاء الملوك هو المسمى في نقوش المسند « ايل - غز » محفورا على أطلال قلعة قديمة في ميناء خوررورى^(٢٦) ، وقد عاش هذا الملك في القرن الأول الميلادى وكان معروفا لدى الكتاب الكلاسيكيين باسم « اليازوس » Eleazos وقد وصفوه بأنه كان « ملك بلاد البخور »^(٢٧) كما عثر في منطقة « هانون » (التي كانت تسمى « سائن » في نقوش المسند) على أطلال مبانى رجح الباحثون انها كانت مخازن لشدة التشابه بينها وبين المخازن القديمة التي وجدت في ميناء خوررورى^(٢٨) . وتقع هانون على بعد ستين كيلومترا إلى الشمال من خوررورى فهي بذلك في منطقة تجمع محصول الكندر لتخزينه ، ويبدو أن هذا هو الغرض من المخازن التي وجدت فيها . وقد وجد في هانون نقش مكتوب بالمسند يذكر الاسم « سائن » الذى أشرنا إليه ، ويصف النص سائن هذه بأنها « في أرض سائلن » أى في بلاد ظفار كما سبق أن ذكرنا ، كما يشير النص إلى « مكرب حضرموت »^(٢٩) (ومكرب لقب الملك الذى كان يمارس الوظيفة الدينية إلى جانب الوظيفة الدنيوية) ، وهذه الإشارة مثال آخر على امتداد سلطة ملوك حضرموت القدماء على مناطق جميع الكندر والطرق المؤدية إليها .

وهناك دليل آخر على جهود ملوك حضرموت في تأمين تجارة الكندر والسيطرة على مناطق انتاجه نفسها ، أى على المناطق التى تنمو فيها أشجاره ، هو العثور في واحة « أنظور » الحالية الواقعة على بعد ٩١ كيلومترا إلى الشمال الشرقى من ميناء خوررورى (الخريطة شكل ١١) ، على أطلال قلعة ومعبد يشبهان في طريقة بنائهما مبانى ميناء خوررورى ، ويمتد هذا التشابه إلى نوع الملائم المستخدم في كل منهما مما يدل على أنهما من عصر واحد .^(٣٠)

من هذه الأمثلة الثلاثة يمكننا أن نستخلص مدى حرص ملوك حضرموت القدماء على تأمين تجارة الكندر والسيطرة عليها بما أقاموا من قلاع ومخازن في كل من مناطق انتاجه (واحة أنظور) وتجميعه (هانون) وتصديره (ميناء خوررورى) .

وإذا ما انتقلنا من الساحل الآسيوى الى الساحل الأفريقى للبحر الأحمر وخليج عدن لدراسة مناطق انتاج الكندر الصومالى ، فأنتنا نجد نفس الظاهرة التى رأيناها بالنسبة لكندر ظفار ، أى أن مناطق انتاج الكندر الصومالى في الوقت الحاضر (أو مناطق نمو أشجاره) هي نفس مناطق إنتاجه في العصور القديمة ، ويتبين ذلك أيضا من أوصاف الكتاب الكلاسيكيين لهذه المناطق ، فقد أنبأنا كل من استرابون ومؤلف كتاب البريلوس وبلينى ، بما يفيد أن المنطقة الرئيسية لإنتاج الكندر كانت تمتد من رأس جردفوى نحو الغرب بمحاذاة ساحل الصومال الشمالى ، ويعتبر وصف مؤلف البريلوس لهذه

المنطقة ، أدق هذه الأوصاف وأكثرها تفصيلا ، ويتبين من هذا الوصف أن الساحل الشمالى الشرقى للصومال ومناطق الظهير الممتدة خلفه كانت في عصره (القرن الأول الميلادى) تنتج أنواعا جيدة من الكندر وخاصة المنطقة التى يوضح معالمها بعدة مواقع تبدأ من الغرب إلى الشرق بالميناء الذى يسميه مؤلف البربلوس « موسيلوم Mosyllum » ثم بالنهر الذى يسميه « نيليبوتاميا Nilipotamia » ومعناه « نهر النيل الصغير » (هناك قراءة أخرى لهذا الاسم هى « نيليبوتوليمايو »^(٣١) وهى لا تغير من المعنى كثيرا لأن فيها اسم « النيل ») ، ثم بالموقع الذى يسميه « تاباتيى Tapatege » ومعناه نهير أو جدول تابا^(٣٢) ، ثم موقع آخر يسميه « دفنون ميكرون Daphnon Mikron » ومعناه « دغل أشجار الغار الصغير »^(٣٣) ، ثم رأس يسميها « رأس الفيل C. Elephas » ، ثم نهر صغير يسميه « نهر الفيل El ephas Fiume » ثم موقع هام يسميه « اكاناى Acarnae » يخصه بالقول بأنه يقع في المنطقة التى تنتج أكبر كمية من أجود أنواع الكندر . وأخيرا يذكر مؤلف البربلوس (بين أسماء المواقع على الساحل الشمالى الشرقى للصومال) اسم سوق يسميه « سوق العطور Aromaton Emporion »^(٣٤) .

وإذا طبقنا هذه الاسماء على الخريطة الحالية لشمال الصومال (شكل ١٢) ، فاننا نجد (طبقا لدراسات الباحثين)^(٣٥) إن ميناء موسيلوم كان يوجد في الغالب في المنطقة الممتدة من ميناء بندر قاسم الحالى (الذى يسميه الصوماليون أيضا « بوصاصو ») ، إلى رأس عمتره الواقعة إلى الشرق منه بقليل . ويلاحظ أن منطقة الظهير الواقعة وراء هذه المواقع تنمو بها أشجار الكندر على سفوح الجبال التى يصل ارتفاعها إلى حوالى ١٥٠٠ متر فوق سطح البحر^(٣٦) ، والموقع الذى يسميه مؤلف البربلوس « نهر النيل الصغير » مكانه اليوم في الغالب جدول صغير يسميه الصوماليون « بندر خور » ويقع بالقرب من مصبه ميناء « كندلة » الحالى والذى مازال حتى اليوم من مراكز تصدير الكندر . أما المواقع المسماة « نهر تابا » و « دغل أشجار الغار الصغير » فتوجد في الغالب في المنطقة الواقعة بين « بندر مرعانيو » و « دربا » إذ تكثر بهذه المنطقة أشجار الكندر فوق الجبال^(٣٧) ، ومازالت مرعانيو تصدر الكندر حتى اليوم .^(٣٨) والموقع الذى يسميه البربلوس « رأس الفيل » مكانه الآن رأس بارزه في البحر يسميها الصوماليون اليوم « رأس فيلك » ويلاحظ أن هذه التسمية تحمل في طياتها كلمة « الفيل » (حرف الكاف في آخر الكلمات هو أداة التعريف في اللغة الصومالية)^(٣٩) أى أن التسمية مازالت مستمرة منذ العصور القديمة حتى اليوم ، ولعل السبب في ذلك هو التشابه بين هذه الرأس وبين شكل الفيل الرابض إذا نظر إليها من بعيد .^(٤٠)

أما موقع « نهر الفيل » فمكانه اليوم في الغالب نهير صغير يصب في خليج يسميه الصوماليون « جل - وين » ومعنى هذه الكلمة « المستنقع الكبير » ويقع عند مدخل هذا الخليج ميناء يسميه الصوماليون « علولة » وهو من أهم موانئ هذه المنطقة في تصدير الكندر^(٤١) ولذلك يرجح الباحثون أنها « اكاناى » التى يقول البربلوس عنها أنها في المنطقة التى تنتج أكبر كمية من الكندر من أجود الأنواع كما سبق القول^(٤٢) .

وأخيراً فإن « سوق العطور » المذكور في البريلوس مكانه اليوم في الغالب ، طبقاً لأحدث الحفائر الأثرية التي أجريت في شمال الصومال ، المرفأ المسمى حالياً « دامو » الواقع على بعد خمسة كيلو مترات تقريباً غرب رأس جردفوى^(٤٣) . ولاشك أن العطور المقصودة في هذه التسمية هي « الكندر » فقد كان اليونان والرومان يطلقون عليه أيضاً هذه التسمية .

هكذا تتطابق المناطق المنتجة للكندر وموانئ تصديره في الوقت الحاضر ، وفي العصر اليوناني الروماني سواء بالنسبة لشمال شرق الصومال أو لجنوب الجزيرة العربية (منطقة ظفار) ولكن ما ذكرناه من مناطق إنتاج الكندر لايعنى أن الكندر لاينمو في المناطق الأخرى في جنوب الجزيرة العربية وفي شمال الصومال ، ولكن يعنى أن المناطق التي ذكرناها هي أكثر المناطق كثافة في أشجار الكندر وتنمو بها أجود أنواعه التي كان القدماء يفضلونها على الأنواع الأخرى ، فضلاً عن أن المناطق الأخرى التي كان ينمو بها الكندر وخاصة في شمال الصومال ، لاتتوفر لها المزايا التي تجعلها تلعب دوراً رئيسياً في تجارة الكندر ، مثل القرب من ساحل البحر ، فمثلاً توجد مناطق على ساحل الصومال الشمالي ينمو بها الكندر ولكن على سفوح الجبال التي تبعد عن الساحل بمسافة كبيرة مثل المنطقة الواقعة وراء بربرة^(٤٤) مما يقلل من مساهمتها في تجارة الكندر بالنسبة للمناطق القريبة من ساحل البحر التي ذكرناها .

تجارة البخور في تاريخ الصلات بين شعوب البحر الأحمر .

لقد كانت سلعة البخور الثمينة تشكل عنصر جذب للشعوب والجماعات المطلة على البحر الأحمر ، ثم للشعوب الأخرى من خارج هذا البحر كالفينيقيين والعبرانيين (ولو أن هناك آراء بأن العناصر المبكرة من الشعب الفينيقي ترجع في أصلها إلى منطقة البحر الأحمر ، كما أن العهد القديم يروى أن دولة العبرانيين في عهد سليمان وخلفائه المباشرين كانت تمتد إلى خليج العقبة) ، ثم اليونان والرومان فيما بعد . ولاشك أن أشد هذه الشعوب حماساً للحصول على هذه السلعة هي أكثرهم احتياجاً إليها واستهلاكاً لها . وهنا يظهر المصريون القدماء في مقدمة هذه الشعوب كما تدل على ذلك آثارهم ، فإن أقدم إشارة مدونة لبخور البحر الأحمر ، وردت على الآثار المصرية القديمة وترجع لحوالي عام ٢٦٥٠ قبل الميلاد ، وهي من عصر ملك يدعى « سحورع » جاء فيها أن هذا الملك حصل على ٨٠,٠٠٠ مكيال من بخور البحر الأحمر^(٤٥) وكان المصريون القدماء يميزون ذلك النوع من البخور الذي كانوا يجلبونه بطريق البحر الأحمر بإطلاق أسم خاص عليه هو « عنتى » (أو « عنتيو » في صيغة الجمع في اللغة المصرية القديمة) كما كانوا يطلقون على البلاد التي يحصلون منها على هذا البخور اسم « بونت » . والدليل على أن بلاد بونت هذه كانت تقع على ساحل البحر الأحمر وأن المصريين كانوا يصلون إليها بطريق البحر ، هو العثور على آثار فرعونية ونقوش وكتابات هيروغليفية على الساحل المصرى للبحر الأحمر تسجل أخبار بعثة بحرية أرسلها أحد الفرعنة حوالى عام ١٩٥٠ قبل الميلاد إلى بلاد بونت

هذه (٤٦) وقد تضمنت هذه النقوش ، المرسوم الملكي الذى أصدره الفرعون لوزيره لاعداد السفن اللازمة لسفر هذه البعثة (٤٧) ولكن رغم تعدد بعثات المصريين القدماء إلى بلاد بونت هذه لجلب البخور ، فانهم لم يصلوا إلى منطقة نمو أشجار الكندر نفسها في شمال الصومال الأبعد حوالى ألف سنة من عصر أول بعثة أرسلوها لجلب البخور في عصر الملك « سحورع » المذكور . فقد كانوا منذ ذلك العصر يحصلون على البخور عن طريق الوسطاء والسماسرة مما كان يؤدى لرفع ثمن السلعة كثيراً كما ذكروا في نقوشهم (٤٨) وكان وصولهم إلى منطقة أشجار الكندر في شمال الصومال حدثاً جديداً تم في عصر ملكة تدعى « حتشبسوت » حوالى عام ١٥٠٠ قبل الميلاد ، والناحية الأخرى الجهدية في هذا الحدث ، إنهم لم يكتفوا بالحصول على الكندر على هيئة حبات معبأة في أكياس (كما كانوا يفعلون قبل ذلك العصر على ما يبدو) ، بل حصلوا على عدد من أشجار الكندر الحية باقتلاعها من الأرض ، وحفظ جذورها في أصص لاستزراعها في مصر (شكل ٧) ، وفعلاً زرعوا هذه الأشجار في حديقة المعبد الذى شيدته هذه الملكة في منطقة « الدير البحرى » الواقعة غرب مدينة الأقصر في صعيد مصر ، ولكن تبين للباحثين من فحص أرضية هذه الحديقة ، أن زراعة الكندر لم تنجح في مصر ، ويبدو أن السبب في ذلك هو اختلاف طبيعة البيئة في مصر عن البيئة الصالحة لنمو هذا النبات ، وإن كان أحد الباحثين يذهب بعيداً في تفسير عدم نجاح زراعة الكندر في مصر بقوله إن سكان بلاد البخور أو بونت (شمال شرق الصومال) أعطوا للمصريين أشجاراً لاتصلح للنمو والاستزراع ، حتى لاتبور تجارتهم بحرمانهم من السوق الرئيسى لتصريفها ، وهو السوق المصرى (٤٩)

غير أنه يبدو أن المصريين لم ييأسوا من فشل زراعة أشجار الكندر في مصر ، ذلك أن كثيراً من الفراعنة الذين حكموا مصر بعد عصر الملكة حتشبسوت هذه ، ساروا على منوالها في جلب أشجار الكندر الحية من بلاد بونت لاستزراعها في مصر ، حتى صار جلب هذه الأشجار تقليداً متبعاً نشاهده في كثير من المناظر المرسومة على الآثار المصرية القديمة ، وهذا دليل على أن البيئة لم تكن تلائم نمو الكندر وإنما أصبح الأمر مجرد تقليد متبع لاغير . كما يدل من ناحية أخرى على ازدهار تجارة كندر الصومال . وقد يتساءل القارئ عن سبب اتجاه المصريين إلى منطقة شمال الصومال للحصول على الكندر ، وعدم اتجاههم إلى جنوب الجزيرة العربية لهذا الغرض ، وماهى الأدلة على ذلك . أما عن الشق الأول من السؤال فهو أن منطقة شمال شرق الصومال الواقعة على الساحل الأفريقى لخليج عدن ، كانت أبسر منالا وأكثر أمناً للسفن المصرية من السواحل الآسيوية لهذا الخليج وخاصة منطقة ظفار البعيدة (الواقعة على البحر العربى على امتداد خليج عدن) ، لأن السفن المصرية في ذلك العهد المبكر من تاريخ الانسانية ، لم تكن بالمتانة ، وبدرجة القوة الكافية لمغالبة زوابع البحر الأحمر وعواصفه المدمرة في عرض هذا البحر ، فكانت السفن تلتزم الساحل في إبحارها أى أنها كانت تبحر بطريقة « المساحلة » حتى إذا دهمتها العواصف أسرع بالالتجاء للساحل ، وبذلك كان التزامها للساحل الأفريقى يوفر لها الأمان وخاصة أن الكندر المطلوب ، وغيره من سلع البحر الأحمر كالذهب والعاج والابنوس وريش النعام وغير ذلك من سلع الترف التى كانت السفن المصرية تسعى للحصول عليها إلى جانب الكندر ،

كانت تتوفر على الساحل الأفريقي للبحر الأحمر وخليج عدن ، وعلى ذلك لم يكن المصريون في حاجة للمجازفة بعبور البحر الأحمر إلى ساحله الآسيوى والتعرض لأخطار هذا العبور .
أما عن الأدلة على أن بلاد بونت هذه كانت تقع على الساحل الأفريقي للبحر الأحمر ، وليس على ساحل الجزيرة العربية ، فهناك أدلة كثيرة على ذلك وقد تناولتها في بحث سابق^(٥٠) ولكننى أكتفى هنا بدليلين اثنين حاسمين أولهما ، ورود رسم لحيوان الزراف وهو يرعى في بيئته الطبيعية ضمن الرسوم المصرية التى تمثل البيئة الطبيعية لبونت^(٥١) ، والمعروف أن الزراف حيوان أفريقى بحت ولم يظهر في آسيا سواء في العصور القديمة أو الحديثة . وثانى هذه الأدلة يتمثل في نص هيروغليفى ورد على لوحة تعرف في علم الآثار المصرية « بلوحة دفنى » جاء فيه أن الأمطار الساقطة على جبال بونت أدت إلى حدوث فيضان النيل^(٥٢) ، وبديهي أن هذا الفيضان لا يمكن أن يحدث إلا إذا كانت بلاد بونت التى سقطت عليها الأمطار ، تقع في منطقة أفريقية لايفصلها عن النيل فاصل بحرى كما هو الحال بالنسبة للمناطق الآسيوية .

وقد أطلقت النصوص المصرية الهيروغليفية على بلاد بونت هذه إسمًا يتفق مع الطبيعة الجبلية التى تسود في شمال شرق الصومال حيث تنمو أشجار الكندر وهو « ختيو عنتيونو بونت » (انظر الخريطة شكل ١٢) ومعناه « مدرجات الكندر في بونت » ، كما مثلت الرسوم المصرية سكان هذه المنطقة الذين كانوا يتاجرون في البخور وفي السلع الأفريقية الأخرى كسلع الترف التى ذكرناها ، ومن هذه الرسوم أمكننا التعرف على الأجناس والسلالات التى كانت تعيش في هذه المنطقة الأفريقية منذ خمسة وثلاثين قرنًا ، فالسلالة الحاكمة التى يمثلها أمير هذه البلاد وأعوانه ، تبدو على أفرادها الملامح الحامية السامية ، وهناك سلالة أخرى يتميز أفرادها بملامح زنجية^(٥٣) والناحية التى تلفت الانتباه في هذه الرسوم أن زوجة أمير هذه البلاد وابنتها ، تتميزان بخصائص جسدية تجمع بين الخصائص الحامية السامية وبين الخصائص الزنجية (شكل ٨) ، مما يرجح وجود اختلاط بين السكان الأفريقيين المحليين وبين مهاجرين من الجزيرة العربية . وهذه الظاهرة ، أى ظاهرة الاختلاط بين المهاجرين من الجزيرة العربية وبين السكان المحليين على السواحل الأفريقية ، من أبرز الظواهر التى ميزت الصلات بين سكان السواحل الأفريقية وسكان السواحل الآسيوية للبحر الأحمر والمحيط الهندى طوال عصور التاريخ حتى مطلع العصر الحديث ، ولكنها اتخذت أشكالًا اختلفت باختلاف العصور .

والحقيقة أن الصلات البشرية بين السواحل الأفريقية والسواحل الآسيوية للبحر الأحمر ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ عندما بدأت الهجرات الحامية منذ العصر الحجري القديم الأعلى تتوالى من جنوب الجزيرة العربية عبر باب المندب إلى إفريقية الشرقية ، وقد تابعت هجرات الحاميين في ثلاث موجات رئيسية يطلق عليها الباحثون أ ، ب ، جـ . وقد عمرت هذه الهجرات منطقة شرق إفريقية كلها وما زالت بقاياها حتى اليوم تتمثل في مجموعات بشرية متناثرة في شرق إفريقية مثل البجة والجالا^(٥٤) . وفي العصور التاريخية أخذت العناصر السامية تتوافد على ساحل إفريقيا الشرقى قادمة من جنوب الجزيرة العربية ، واستقر هؤلاء الساميون (وهم أسلاف العرب القدماء) على هذا الساحل مؤسسين

مستوطنات تجارية يتصلون عن طريقها بالسكان الافريقيين المحليين الذين كانوا يجلبون لهم المنتجات الافريقية مثل الذهب والعاج والابنوس وجلود الفهود وريش النعام وغيرها من سلع الترف من المناطق الداخلية التي كان يصعب عليهم دخولها بسبب ما كانت تعج به من الحيوانات المفترسة والقبائل البدائية والأمراض الوبائية ، وذلك بالطبع إلى جانب البخور أهم السلع الافريقية الذى كان يتوفر أيضا قرب الساحل كما ذكرنا . وقد أوضحت لنا الرسوم المصرية القديمة بعض هذه السلع ، وصورت سكان إحدى هذه المستوطنات وهم يقدمونها للمقايسة مع السلع التي جاء بها المصريون التي ظهرت بينها الأسلحة والأواني وأدوات الزينة^(٥٥) . ويبدو أنه بمرور الزمن كانت العلاقة التجارية بين المهاجرين الساميين (اسلاف العرب القدماء كما ذكرنا) وبين السكان الافريقيين المحليين تؤدي إلى التقارب بين الطرفين ، وكان الوافدون الساميون يعززون هذه العلاقة بزواجهم من النساء الافريقيات ، كما يدل على ذلك المثال الذى ذكرناه من الرسوم المصرية القديمة .

وقد استمرت هذه الظاهرة في العصور اللاحقة ولدينا مثال على ذلك من كتابات الكتاب الكلاسيكيين فقد جاء في كتاب البريلوس أن أهل مدينة « موزا » (ميناء مخا الحالى تقريبا باليمن) كانوا يحكمون أحد الموانئ على ساحل إفريقيا الشرقى الذى أسماه « رهابتا » ، وذلك من قبل أمير « مفاريتس » Mapharitis (دولة أو إمارة يمنية قديمة ربما كانت في منطقة « المعافر » الحالية في جنوب غرب اليمن) وكانوا يبعثون إلى الميناء ربابنة ووكلاء عرب يعرفون المكان ويتزوجون من نسائه ويفهمون لغة السكان^(٥٦) .

ويبدو من الرسوم المصرية القديمة التي ذكرناها فيما سبق ، أن المستوطنين الساميين كانوا يحرصون على السيطرة على مناطق إنتاج البخور على الساحل الصومالى حتى لا يكون موضع منافسة للبخور الذى تنتجه الجزيرة العربية ، وهناك دليل على ذلك وإن كان من العصور التالية ، وبالتحديد من القرن الأول الميلادى فقد ورد في كتاب البريلوس ما يفهم منه أن بخور الصومال (الذى كان العرب القدماء يسمونه « بخور الشاطيء البعيد » كما سبق أن ذكرنا) كان يشحن مع السلع الافريقية الأخرى في السفن إلى جنوب الجزيرة العربية^(٥٧) ومن الواضح أن الغرض من ذلك هو إعادة تصدير هذه السلع من موانئ اليمن وبذلك تحكم قبضة العرب على السلع الافريقية وخاصة البخور فلا يكون وسيلة لمنافسة البخور العربى .

ومن الطريف أن حرص الساميين ثم العرب القدماء من بعدهم على تجارة البخور ، لم يقتصر على محاولتهم إحكام قبضتهم على مناطق إنتاجه على الساحل الافريقى ، بل امتد ، فيما يبدو ، إلى نشر الروايات المخيفة عن مناطق إنتاجه ، لصرف المغامرين الأجانب عن محاولة ارتياد هذه المناطق ، وإن تشابه هذه الروايات يدل على أنها من مصدر مشترك ، فكلها تدور حول وجود شعبين وحيات أسطورية في مناطق إنتاج البخور ، وأقدم هذه الروايات وردت في قصة مصرية قديمة ترجع إلى حوالى القرن العشرين قبل الميلاد ، تعرف بأسم « قصة الملاح الغريق » وهى تشبه قصة السندباد البحرى العربية

إلى حد كبير ، وقد ورد في هذه القصة أن هذا الملاح لجأ (بعد أن دمرت العواصف سفينته) إلى جزيرة كان يسكنها ملك بلاد البخور (المسماة بلاد بونت عند المصريين القدماء) ، وأن هذا الملك كان على هيئة ثعبان ضخّم طوله ثلاثون ذراعاً^(٥٨) ، ثم رواية أخرى ردها استرابون في القرن الأول قبل الميلاد ، بأنه توجد على ساحل الصومال الشمالى حيات يبلغ طول الواحدة ثلاثين ذراعاً أيضاً^(٥٩) والذي يجعلنا نرجح أن هاتين الروايتين من أصل سامى أو عربى قديم ، وجود رواية مشابهة لهما عن مناطق إنتاج البخور في جنوب الجزيرة العربية نفسها ، وقد ردها المؤرخ اليونانى هيرودوت (حوالى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد) إذ قال أن أشجار البخور في بلاد العرب تحرسها حيات مجنحة^(٦٠) .

ومن الأحداث البارزة في تاريخ الهجرات السامية والعربية القديمة إلى السواحل الافريقية ، هجرة السبئيين حوالى القرن السابع أو السادس قبل الميلاد. واستقرارهم في مستوطنات تجارية على ساحل اريتريا تحولت فيما بعد إلى دولة امتدت نحو الداخل وغلب عليها الطابع الافريقى واتخذت من مدينة « اكسوم » في شرق الحبشة عاصمة لها . والناحية التى تهمننا في تاريخ دولة اكسوم هذه ، إنها أخذت تدخل في مضمار المنافسة على تجارة البحر الأحمر وخاصة تجارة البخور ، فنشأ بذلك طريق برى لهذه التجارة يمتد من الصومال إلى اكسوم ثم إلى الميناء المسمى قديماً « أدوليس Adolis » (ومكانه اليوم مرفأ « زولا » الصغير الواقع جنوب ميناء مصوع الحالى بعدة كيلو مترات) حيث تنقله السفن إلى الشمال نحو الموانى المصرية ويبدو أنه لأهمية ميناء أدوليس هذا وصلته بتجارة بخور الصومال فقد عين له ملوك اكسوم حاكماً خاصاً كانت سلطته تمتد حتى ساحل الصومال الشمالى^(٦١) ، وقد حفظ لنا كتاب البربلوس اسم أحد هؤلاء الحكام الذى دعا « زوسكالس Zoskales »^(٦٢)

وحول الزمن الذى ازدهرت فيه دولة اكسوم ، ازدهرت أيضاً دولة « كوش » السودانية في « مروة » (بالقرب من شندى شمال الخرطوم) فازدهرت التجارة بين الدولتين ونشط الطريق التجارى الذى يمتد من اكسوم إلى كسلا إلى مروة ومنها إلى الشمال نحو مصر ، وبذلك نشأ طريق برى نهري لتجارة البخور يمتد من شمال الصومال عبر الحبشة والسودان ومصر إلى ساحل البحر المتوسط حيث ينتهى عند مدينة الاسكندرية التى كان يصلها أيضاً بخور الجزيرة العربية . وكان البخور يتم تصنيعه في هذه المدينة قبل تصديره منها ، وقد علمنا ذلك من رواية للكاتب الرومانى « بلىنى » (القرن الأول الميلادى) وهى توضح لنا من ناحية أخرى إلى أى مدى كانت البخور مادة ثمينة غالية الثمن في نظر القدماء ، ومؤدى رواية بلىنى أن العمال الذين كانوا يقومون بتصنيع البخور في الاسكندرية (ربما يقصد من كلمة « تصنيع » ضغط حبات الكندر في أشكال يسهل تداولها ، فقد كان المصريون القدماء يضغطونها أحياناً ويحولونها إلى أشكال أهرامات ومسلات) كانوا يحاولون سرقة البخور باخفائها في مآزرهم ، فكان صاحب المصنع يختم هذه المآزر ، ولكنهم كانوا يتحايلون على سرقتها باخفائها في قماش يضعونه فوق رؤوسهم ، فكان صاحب المصنع يفوت عليهم غرضهم باجبارهم على الخروج من المصنع وهم عراة^(٦٣) .

ونختتم هذا المقال بمقارنة سريعة بين الطرق التجارية التي كانت تمتد على جانبي البحر الأحمر والتي كانت البخور تنقل عبرها إلى الشمال مع سائر السلع الأخرى التي سبق أن ذكرناها . فنلاحظ من هذه المقارنة أن هناك تشابهاً كبيراً بين اتجاهات وطبيعة هذه الطرق ، كما أن هناك اختلافاً كبيراً أيضاً في مدى أهمية كل منها .

فعلى كل من الجانبين الآسيوي والافريقي للبحر الأحمر كان يمتد طريقان ، أحدهما برى والآخر بحرى ، ولكن الطريق البرى الممتد على الجانب الآسيوي كان أقدم وأهم بكثير من الطريق البرى الممتد على الجانب الافريقي ، وعلى العكس من ذلك نجد أن الطريق البحرى الممتد بحذاء الساحل الافريقي ، أقدم وأهم بكثير من الطريق البحرى الممتد بحذاء الساحل الآسيوي ، والسبب في ذلك يرجع إلى طبيعة السواحل كما يرجع إلى قدم الحضارة على كل من الجانبين الافريقي والآسيوي للبحر الأحمر .

فعلى الجانب الافريقي ظهرت الحضارة المصرية القديمة في زمن أقدم بكثير من ظهور الحضارة العربية الجنوبية القديمة ، فاتجه نشاط المصريين القدماء منذ أقدم عصورهم إلى سواحل البحر الأحمر الواقعة إلى الجنوب من بلادهم بحثاً عن البخور كما سبق أن ذكرنا ، فازدهرت تجارة البخور (و سلع الترف) على هذا الساحل منذ عصر مبكر . ويعد انتهاء التاريخ المصرى القديم قامت دولة البطلمة اليونانية في مصر ، فأسس هؤلاء الموانى على طول الساحل الافريقي (أو بالأحرى أعادوا استخدام هذه الموانى^(٦٤) بعد أن توقف نشاط المصريين القدماء فيها نتيجة لتدهور الدولة المصرية القديمة وزوالها ، ثم أطلقوا عليها أسماء يونانية . — انظر الخريطة شكل ١٢) للسيطرة على تجارته من ناحية ، ولاستخدامها كمراكز لصيد الفيلة التي كانوا يستخدمونها في حروبهم ، من ناحية أخرى . فنشطت بذلك التجارة على الساحل الافريقي للبحر الأحمر ، وازداد هذا النشاط بقيام دولة أكسوم . أما الطريق البرى على الجانب الافريقي فلم تكن له أهمية الطريق البحرى ، ربما بسبب ماكانت تعترضه من عقبات طبيعية في داخل القارة الافريقية كالغابات والمستنقعات ، ومايكتنف القوافل المسافرة فيه من أخطار القبائل البدائية والأمراض الوبائية المتوطنة في مناطقه الرطبة . ولذلك لم يزدهر هذا الطريق إلا في عصر متأخر عندما قامت على جوانبه دولتان قويتان تؤمنان المرور فيه وهما دولة أكسوم ودولة كوش .

وبالنسبة للطرق التجارية على الجانب الآسيوي ، فقد كان الطريق البرى أقدم وأهم من الطريق البحرى ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى عاملين ، أولهما ، أن العرب بطبيعتهم كانوا بالدرجة الأولى تجار بر ، لاتجار بحر ، وثانيهما عدم صلاحية الشاطئ الآسيوي للبحر الأحمر لقيام الموانى عليه بالنسبة للساحل الافريقي ، ولذلك لانجد إلا ميناء واحداً اشتهر كميناء عربى قديم وهو ميناء « موزا » (مخا الحالى تقريباً) ، أما الموانى الأخرى فهي موانى يونانية أسسها اليونان وخاصة البطلمة للسيطرة على تجارة الجزيرة العربية ، وهذه الموانى هي « شارموثاس Charmouthas » و « امبلونى Ampelone »^(٦٥) وحتى هذه الموانى القليلة وصفها الكتاب اليونان بانها كانت رديئة وتشكل خطورة على السفن التي تحاول الرسو فيها^(٦٦) . ولانعرف بالضبط المواقع الحالية لهذه الموانى .

وهناك ميناء ثالث له اسم يونانى أيضاً وهو « لويكى كومى » ومكانه الحالى ميناء الوجه فى الغالب ويرى البعض أنه كان ميناء نبطياً أسسه الأنباط بعد تخريبهم لميناء امبلونى (ربما أثناء صراعهم مع البطلمة) وفى مكانه ، ولكنهم لم يقدموا دليلاً قوياً على ذلك (٦٧) ، وعلى العكس فإن اسمه اليونانى يوحى بأنه من تأسيس اليونان أو الرومان ، بدليل أن الضابط الذى كان مكلفاً بجباية الضرائب على السلع المارة به كان يحمل لقباً يونانياً ، كما أنه كان يخضع للرومان فى القرن الأول الميلادى على الأقل (٦٨) .

وعلى العكس من ذلك ، نجد أن الطريق البرى الممتد على الجانب الآسيوى أقدم وأهم بكثير من الطريق البحرى ، بل ربما كان أهم الطرق التجارية على جانبى البحر الأحمر سواء منها البرية أم البحرية ، لدرجة أن الباحثين يطلقون عليه « الطريق التجارى العظيم » ، وكان هذا الطريق يبدأ من موانئ جنوب الجزيرة العربية مثل « قنأ » وعدن ويمر بعواصم الدول العربية الجنوبية القديمة مثل شبوة وتمنع ومارب ومعين ، ومن هذه الأخيرة يتجه شمالاً إلى نجران ثم يسير فى اتجاه شبه مستقيم نحو الشمال ماراً بالواحات التى كان أشهرها واحة العلا حيث قامت المستوطنة المعينية كما قامت الدولة اللحيانية ، ومن العلا يسير إلى البتراء عاصمة دولة الأنباط (عندما ظهرت هذه الدولة فى التاريخ منذ القرن الرابع قبل الميلاد) ، وقد بلغ من كثافة وضخامة القوافل المارة بهذا الطريق أن شبهها الكاتب الرومانى استرابون « بجيش عظيم يتحرك » وذلك عند وصفه للجزء الشمالى من هذا الطريق الذى يتجه نحو البتراء (٦٩) . ومن البتراء كان المسار الرئيسى للطريق يمر بشمال سيناء وينتهى عند ميناء غزة على ساحل البحر المتوسط .

ولما كانت البخور أهم سلعة تنقل عبر هذا الطريق يليها الذهب فقد أطلق عليه الباحثون أحياناً « طريق البخور – الذهب » وهكذا كان للبخور دور كبير فى رواج التجارة عبر الجزيرة العربية ، بل كانت عصب تجارة البحر الأحمر ، ولذلك كافح العرب القدماء واستماتوا فى الحرص عليها والاحتفاظ بها فى قبضتهم سواء بالأساليب المباشرة كالسيطرة على مناطق إنتاجها الأخرى التى قد تشكل عنصر المنافسة لها مثل منطقة شمال الصومال ، وبالتصدى للطامعين فيها من يونان ورومان ، أو بالأساليب غير المباشرة كترويج الأساطير المرعبة لصرف أنظار المغامرين عنها ، ولاشك أن هؤلاء العرب القدماء لم يكونوا يتصورون أن دولة البخور يمكن أن تدول ويأتى عليها يوم تنزوى فيه وتضمحل وتكاد تصبح فى ذمة التاريخ .

المصادر والمراجع

أولا : قائمة أبجدية باختصارات المصادر والمراجع والاسماء الكاملة لها

أ - المراجع العربية

- سيد ، الجمهورية الصومالية :
= عبد المنعم عبد الحليم سيد ، الجمهورية الصومالية ، دراسة لبيئتها الطبيعية وامكانياتها الاقتصادية ونظم الصوماليين الاجتماعية وعاداتهم وعلاقاتهم بمصر في مختلف العصور ، القاهرة ، العدد ٢٩١ من سلسلة الألف كتاب ١٩٦٠ .
- سيد ، موقع بونت :
= عبد المنعم عبد الحليم سيد ، محاولة لتحديد موقع بونت ، العدد رقم ٥ من مطبوعات جمعية الآثار بالاسكندرية (دراسات تاريخية وأثرية) ، الاسكندرية ١٩٧٤ .
- سيد ، ميناء الأسرة الثانية عشرة :
= عبد المنعم عبد الحليم سيد ، الكشف عن موقع ميناء الأسرة الثانية عشرة الفرعونية في منطقة وادى جوايس على ساحل البحر الأحمر (تقرير عن حفائر بعثة قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية في صحراء مصر الشرقية خلال موسمي عامي ١٩٧٦ ، ١٩٧٧) مطبعة جامعة الاسكندرية ١٩٧٨ .
- عيسى ، اسماء النيات :
= أحمد عيسى ، معجم اسماء النيات ، القاهرة ١٩٦٠ .
- لوكاس ، المواد والصناعات :
= لوكاس ، الفريد ، المواد والصناعات عند قدماء المصريين ، ترجمة زكى اسكندر ومحمد زكريا غنيم ، القاهرة .

ب - المراجع الافرنجية

- B.A.R.
- = Breasted, J.H., Ancient Records of Egypt, 5 Vols., Chicago, 1906 Repr. 1970
- Burton, Footsteps :
 - = Burton, R., First Footsteps in East Africa, 2 Vols., London 1894
- Chittick, Azania :
 - = Chittick, Neville, "An Archaeological Reconnaissance in the Horn, The British-Somali Expedition, 1975", AZANIA Vol. XI - 1976, p. 117 f.
- Conti Rossini, Chrestomathia :
 - = Conti Rossini, Karolus, Chrestomathia Arabica Meridionalis Epigraphica, Roma, 1931
- Dixon, The Transplantation :
 - = Dixon, D.M., "The Transplantation of Punt Incense Trees in Egypt" J.E.A. Vol. 55, 1969, p. 55 f.
- Doe, Arabia :
 - = Doe, Brian, Southern Arabia, London, 1971
- Golenischeff, Naufrage ;
 - = Golenischeff, M.W., Le Conte de Naufrage, Paris, 1912
- Hepper, Frankincense :
 - = Hepper, F. Nigel, "Arabian and African Frankincense Trees" J.E.A., Vol. 55, 1969, p. 66 f.
- Herodotus, Hist.
 - = Cary, H., Herodotus History, Bohn's Classical Library, London, 1912
- Huntingford, Periplus :
 - = Huntingford, G.W.B., The Periplus of the Erythraean Sea, London, 1980
- J.E.A. :
 - = JOURNAL OF EGYPTIAN ARCHAEOLOGY, London.
- Lewis, The Horn:
 - = Lewis, I.M., Peoples of the Horn of Africa, London, 1955
- Müller, Use of Frankincense :
 - = Müller, Walter W., "Notes on the Use of Frankincense in South Arabia" Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, Vol. 6-1976, p. 124 f.
- Müller, Frankincense :
 - = Muller, Walter W., "Arabian Frankincense in Antiquity according to Classical Sources" First International Symposium on Studies in the History of Arabia, University of Riad, 1977 (Still unpublished).
- Naville, Deir El Bahari :
 - = Naville, E., The Temple of Deir El Bahari, Part III, London, 1898
- Oliver, East Africa :
 - = Oliver, Roland, History of East Africa, The Early Period, Oxford, 1967
- Petrie, Tanis :
 - = Petrie, W.M.F., Tanis II (Nebeshah and Defnah), London, 1888
- Phillips, Oman :
 - = Phillips, W., Unknown Oman, 1966
- Pirenne, Corpus :

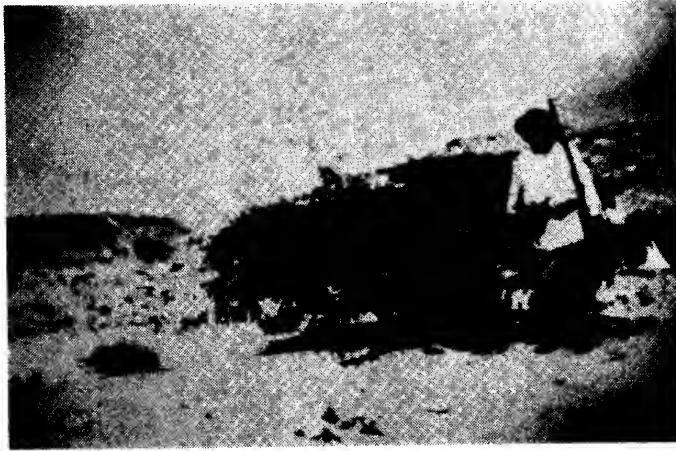
- = Pirenne, Jaqueline, "Pyree cubique a quatre pieds"
- = Pirenne, Jaqueline, "Deux pyrees cubiques a pieds du Musée de l'Université de Pennsylvanie" Corpus des Inscriptions et Antiquités Sud-Arabs, Tome I Section 2, Louvain, 1977, pp. 1. 275-1. 278 and pp. 1. 291-1. 292 respectively.
- Pliny, Nat. Hist. :
 - = Bostack, J. and Riley, H.T., The Natural History of Pliny, London, 1875
- Red Sea Pilot :
 - = British Admiralty, Red Sea and Gulf of Aden Pilot, 9th. ed. London, 1944
- Ryckmans, G, les noms propres
 - = Ryckmans, G, les Noms Propres Sud Sémitiques, Tomes I-III, Louvain, 1934 - 1935
- Sayed, Discovery :
 - = Sayed, Abdel Monem A.H., "Discovery of the Site of the 12th. Dynasty Port at Wadi Gawasis on the Red Sea Shore" REVUE D'EGYPTOLOGIE, Tome 29, 1977, p. 139 f.
- Sayed, The Recently :
 - = Sayed, Abdel Monem A.H., "The Recently Discovered Port on the Red Sea Shore" J.E.A., Vol. 64, 1978 P. 69F.
- Sayed, Observations :
 - = Sayed, Abdel Monem A.H., "Observations on the Gawasis Discoveries", J.E.A., Vol. 66, 1980, p. 154 f.
- Schoff, Periplus :
 - = Schoff, Wilfred H., The Periplus of the Erythraean Sea, New York, 1912
- Strabo, Geography :
 - = Hamilton, H.C. and Falconer, W., The Geography of Strabo, Bohn,s Classical Library, London, 1889
- Tarn, Ptolomy :
 - = Tarn, W.W., "Ptolomy II and Arabia", J.E.A., Vol. 15, 1929, p. 9 f.
- Van Beek, Frankincense :
 - = Van Beek, Gus W., "Ancient Frankincense-Producing Areas", in, Bowen, R. Le Baron and Albright, F.P., Archaeological Discoveries in South Arabia, Baltimore, 1958, p. 139 f.
- Wissman and Höfner, Beitrage
 - = Wissman, Hermann Von and Höfner, Maria, Beiträge Zur historischen Geographie des Vorislam. Sudarabien, Mainz, 1953

ثانيا : تذييلات المصادر والمراجع

- (١) Pliny, Natural History, Book XII, 54 .
(٢) عيسى ، أسماء النبات ، ص ٣٢ .
(٣) هذا التصنيف طبقا لأحدث الآراء في هذا الموضوع وهو رأى الباحث النباتى « هير » في مقاله : Hepper, Frankincense, P. 66, pp. 69-70 وكان الباحثون قبله يقولون بأن النوع السائد في ظفار هو B. Carteri مثل « فيليبس » في كتابه Phillips, Oman, P. 183 وشف في كتابه Schoff, Periplus, p. 218 ولكن هير أثبت خطأ ذلك Ibid., 67
(٤) لوكاس ، المواد والصناعات ص ١٥١
(٥) Phillips, Oman, P. 183 ويختلف « هير » أيضا مع « فيليبس » في هذا الصدد إذ يقول أن الشق يجرى مرتين أحدهما في شهر مايو والأخرى في شهر ديسمبر (Hepper, Ibid., p. 71) .
(٦) Pirene, Corpus, pp. 1.271, 1.291 ff. .
(٧) Müller, Use of Frankincense, p. 130 .
(٨) عيسى ، أسماء النبات ص ٣٢ .
(٩) Phillips, Oman, pp. 182-183 .
(١٠) Doe, Arabia, p. 20 .
(١١) Huntingford, Periplus, Chapter 29 .
(١٢) Lewis, The Horn, p. 73 .
(١٣) سيد ، الجمهورية الصومالية ص ١٢٥ .
(١٤) Müller, Use of Frankincense, p. 132 .
(١٥) Hepper, Frankincense, p. 69 .
(١٥/١) اختلف الباحثون حول الزمن الذى ألف فيه هذا الكتاب نظرا لعدم معرفة شخصية مؤلفه ، وتطرف بعضهم إلى حد ارجاعه للقرن الثالث الميلادى مثل « بين » في كتابها :
Pirene, J., Le Royaume Sud-Arabe de Qataban et sa datation, Bibliotheque du Museon, 47, Louvain, 1961, pp. 161-181.
وذهب آخرون إلى أنه يرجع لأواخر القرن الثانى الميلادى اعتمادا على نسبة الكتاب لمؤلف يدعى « اريان » Arrian عاش في ذلك الوقت ، وألف كتابا من نوع هذا الكتاب (عن مناطق أخرى) ، وأخيرا قام هنتنغفورد بدراسة لغوية لأسلوب الكتاب ، استبعد على أساسها نسبة الكتاب لاريان هذا ، وخلص من هذه الدراسة بارجاع تأليف الكتاب الى الفترة بين عامى ٩٥ ، ١٣٠ بعد الميلاد ، أى أن المؤلف يمكن أن يكون قد عاش إبان القرن الأول الميلادى وأن الكتاب يصف أحوال البحر الأحمر خلال هذا القرن . براجع : Huntingford, Periplus, pp. 6-12 .
(١٥/٢) Schoff, Periplus, Chapter 7 and p. 75 .
(١٦) Ibid. Chap. 29 and p. 126 .
(١٧) Phillips, Oman, p. 196 .
(١٨) لمس كاتب المقال هذه الظاهرة إبان الفترة التى أمضاها في الصومال في أواخر الخمسينيات ، سيد ، الجمهورية الصومالية ص ١٢٥ ، ولكنه لا يستطيع أن يجزم إذا كانت مازالت مستمرة حتى الآن أم لا .

- . Huntingford, Periplus, chap. 29 and map. No. 8 (١٩)
- . Pirenne, Corpus, p. 1.275 and Fig. p. 1.277 (٢٠)
- . Müller, Arabian Frankincense, p. 2 (٢١)
- . Conti Rossini, Chrestomathia, p. 112 (٢٢)
- . Van Beek, Frankincense, pp. 140-141. (٢٣)
- . Huntingford, Periplus, Chap. 27 (٢٤)
- . Van Beek, Frankincense, p. 141 (٢٥)
- . Phillips, Oman, p. 187 (٢٦)
- . Huntingford, Periplus, Chap. 27 (٢٧)
- . Phillips, Oman, p. 196-197 (٢٨)
- . Ibid. (٢٩)
- . Ibid. p. 201 (٣٠)
- . Nilipolemaion. See, Huntingford, Periplus, p. 92 (٣١)
- . Huntingford, Periplus, p. 93 (٣٢)
- . Ibid. p. 92 (٣٣)
- . Ibid. Chap. 10-12, cf. Schoff, Periplus, Chap. 10-12 (٣٤)
- . Schoff, Periplus, pp. 81-86 ; Huntingford, Periplus, pp. 92-93 ; Chittick, Azania, pp. 118-133. (٣٥)
- . Red Sea Pilot, p. 462 (٣٦)
- . Ibid. p. 463 (٣٧)
- . Ibid. p. 464 (٣٨)
- . سيد ، الجمهورية الصومالية ص ٣٤٧ . (٣٩)
- . سيد ، موقع بونت ص ٧٤ وشكل ٥ . (٤٠)
- . سيد ، الجمهورية الصومالية ص ٣٧٥ هامش رقم ٥ . (٤١)
- . Schoff, Periplus, p. 85; cf. Chittick, Azania, p. 125 (٤٢)
- . (٤٣) كان الرأي القديم بشأن موقع سوق العطور هذا أنه في مكان مرفأ « الك » الحالى الواقع على بعد خمسة كيلومترات تقريبا غربى رأس جردفوى ، ولكن الحفائر الأثرية التى قام بها « تشيتيك » في هذا المكان في عام ١٩٧٥ أثبتت أنه « دامو » وليس « الك » . يراجع Chittick, Azania, p. 124 .
- . Burton, Footsteps, I, p. 77 (٤٤)
- . B.A.R. I, Chap. 161 (٤٥)
- . سيد ، ميناء الأسرة الثانية عشرة ص ٥٦ - ٦٦ وأيضا : (٤٦)
- Syyed, Discoveries, p. 146 f.
- Sayed, The Recently, p. 69 f.
- Sayed, Observations, p. 154 f.
- . نفس المصدر ، ص ٣٥ . (٤٧)
- . Naville, Deir El Bahari, III, pl. 84 and B.A.R. II Chap. 287 (٤٨)
- . The Transplantation p. 64 (٤٩)

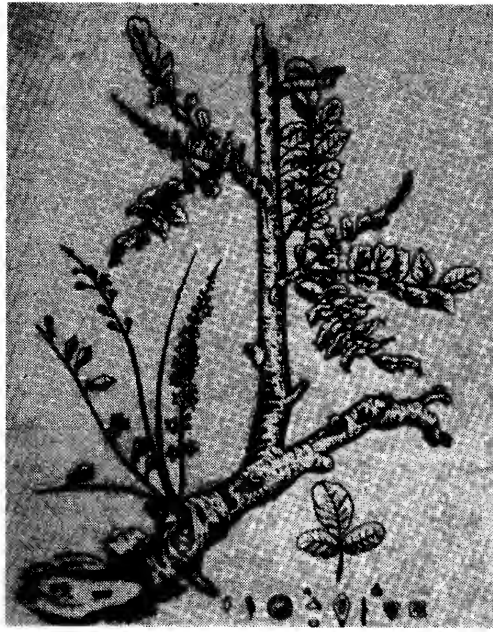
- (٥٠) سيد ، موقع بونت ، ص ٥ - ٣٤ .
- (٥١) Naville, Deir El Bahari, III, pl. 70 .
- (٥٢) Petrie, Tanis II p. 107 .
- (٥٣) Naville, Deir El Bahari, III, pl. 71 .
- (٥٤) Oliver, East Africa, p. 65 .
- (٥٥) Naville, Deir El Bahari, III, pl. 69 .
- (٥٦) Huntingford, Periplus, p. 124 .
- (٥٧) Huntingford, Periplus, p. 124 .
- (٥٨) Golenischeff, Naufrage, p. 231 .
- (٥٩) Strabo, Geography, XVI, 4-24 .
- (٦٠) Herodotus Hist., III Chap. 107 .
- (٦١) Huntingford, Periplus, pp. 148-149 .
- (٦٢) Ibid., Chap. 5 .
- (٦٣) Pliny, Natural History, XII ; cf. Huntingford, Periplus, p. 127 .
- (٦٤) كثير من هذه الموانئ لها أسماء مصرية قديمة وردت في النصوص الهيروغليفية على الآثار المصرية التي ترجع للعصر الفرعوني نفسه ، وقد نشرنا بعضها في مقال سابق (تراجع ص ١٩٥ من المجلد الأول من مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) ، وفي ذلك المقال اتخذنا من ورود أسماء مصرية قديمة على الآثار المصرية لبعض موانئ الساحل الافريقى للبحر الأحمر وخليج عدن ، وعدم ورود أية أسماء لموانئ الساحل الآسيوى لهما ، (فيما عدا سيناء) ، دليلا على عدم وجود اتصال مباشر بين المصريين القدماء وبين الجزيرة العربية ، أى عدم إبحار المصريين القدماء إلى موانئها ، واقتصرهم في ذلك على الساحل الافريقى (وانظر أيضا الخرائط شكل ١٠ وشكل ١٢) .
- (٦٥) Tarn, Ptolemy, pp. 14, 17 .
- (٦٦) Ibid., p. 15 .
- (٦٧) Ibid. p. 23 .
- (٦٨) Huntingford, Periplus, Chap. 19 .
- (٦٩) Strabo, Geography, XVI, 4-23 .



(شكل ١) شجرة كندر (لبان - بخور) من نوع *Boswellia Sacra* ويطلق في ظفار على الكندر الذي يستخرج منها اسم « نجدي »



(شكل ٢) شجرة كندر من نوع *B. Sacra* ايضا يطلق في ظفار على الكندر الذي يستخرج منها اسم « شعبي »



(شكل ٣) غصن شجرة كندر من نوع *B. Sacra* ويلاحظ آثار الشقوق التي عملت لاستخراج العصارة



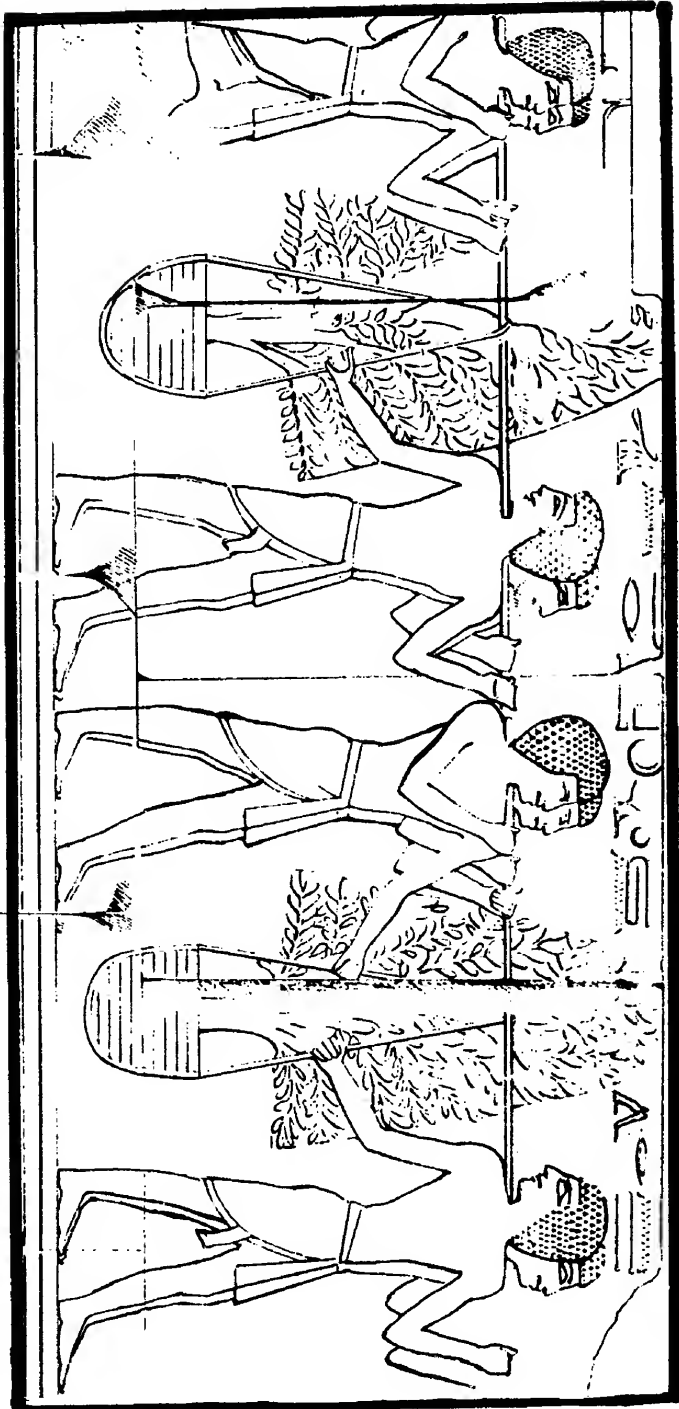
(شكل ٤) محرق بخور يمني قديم حفرت على أحد جوانبه كلمة « لبنى » بالسند وهي الاصل في كلمة « لبنان » العربية الحالية .



(شكل ٥) شجرة كندر (لبان - بخور) من نوع *B. Frereana* التي تكثر في شمال الصومال ويلاحظ الانتفاخ أسفل جذع الشجرة



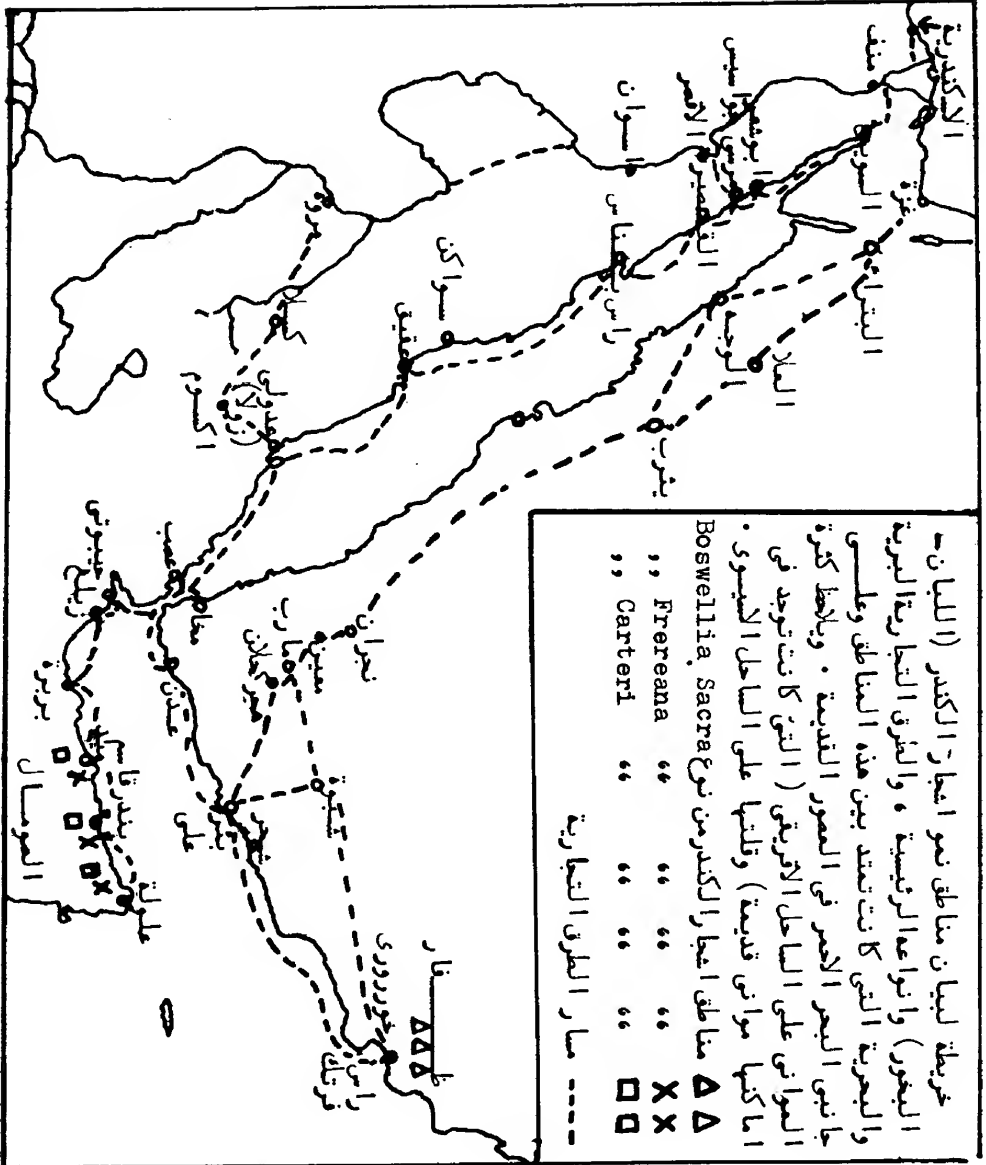
(شكل ٦) اشجار كنذر من نوع *Boswellia Carteri* التي تنمو في شمال الصومال
ايضا ويلاحظ نمو الشجرتين على المنحدرات الصخرية والانتفاخ الذي
ترتكزان عليه عند اتصال الجزع بالارض .



(شكل ٧) منظر ورد على معبد الدير البحرى يعطل البحارة المصريين وهم يحملون الشجر البخور في اقص بعد اقتلاعها من مدرجات البخور في شمال شرق الصومال .
(بلاد بونت) ابتقالها في السفن المصرية إلى مصر لئلا اعتها . والمنظر يرجع الى حوالي عام ١٥٠٠ ق.م .



(شكل ٨) منظر ورد ضمن رسوم معبد الديبر البحري بالأقصر يمثل أمير بلاد النجور (بونت) وزوجته وإبنائه وأحدى بناته وهم يرفعون أيديهم تحية للمصريين الذين جاؤوا للحصول على الكندر وأشجاره ويلاحظ على الزوجة والإبنه الخصائص الجنسية التي تتميز النساء الأفريقيات وخاصة الزنوجيات منهن ، مما يدل على اختلاط المهاجرين الساميين من الجزيرة العربية (ويظنهم الأمير بملامحه السامية) بالسكان الأفريقيين ..



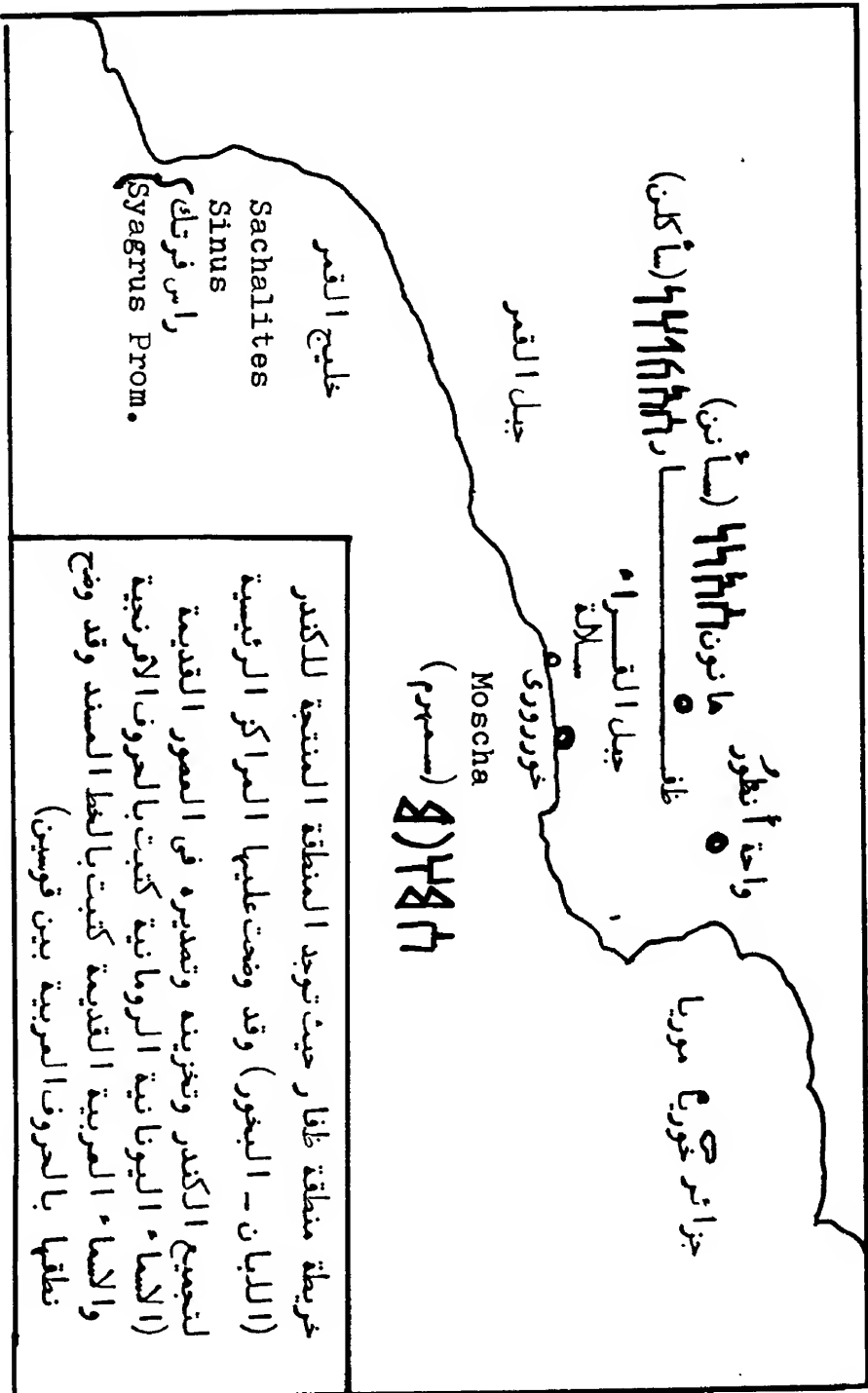
الأسماء القديمة لعم مرأز كرتجاء رة البغور (وسلع الترف) على امتداد الطرق التجارية البحرية والبحرية
في مناطق البحر الأحمر (راجع أسماء المواقع في منطقتنا نتاج الكندر على الخريطة الجريطين الثاليتين).

في الجانب الأفريقي

في الجانب الآسيوي

الاسم الحالي	الاسم اليوناني الروماني	الاسم في النصوص السند	نقطة	الاسم الحالي	الاسم اليوناني الروماني	نقطة
بشر على	Cana, Kana	כנא	قنا	ميد	Mundus	مندر
عن	Eudamon Arabia	יבנה	عدن	بربرة	Malao	منسور
غيرة	Sabata	סבטא	غيرة	زبلع	Avalites	وزلت
هيوكلان	Tamna	תמנא	تمنع	عدولي	Adults	ودنت
مارب	Mariaba	מריבא	مرب	راس بناس	Berenice	تينيفين
ميمين	Minaei	מינאי	ميمن	القمبر	Leukos Limen	ناعو
نجوان	Negrana	נגרא	نجرن	مدري جواسيس	Philoteras	ساو
الوجه	Leuke Kome?	לוקא	—	القيصر	Myos Hormos	مستي
الملا	Petrae	פטרא	ددن	القشعر	Ptolemaios	مستي
البتر	Muza	מוזא	—	عقيق	Theron	مستي
مضا			مخون	السويس	Arsinoe	مستي

عن الأسماء البهر و غليقية، راجع سيد هيد المنعم عبد الحليم، الملات بين حضارة مصر الفرعونية وحضارات
البحر الأحمر (رأى لكثورا غير منشورة)، جامعا الاكندرية ١٩٣٢. وعن الأسماء في السند راجع :
1. Ryckmans, G.; Les noms propres, 1934. 2. Wissman and Höfner, Beiträge, 1953.



(عوملا)

C. Elephas

راس فيلك

Acannae

راس
جودفوى

Elephas

Flume

بندر موعانيو
Daphnon Mikron

دريا Tapatege

Aromaton
Emporion

(اسو)
Mosyllum

جسترة

عنترة

بندر

بندر خور
Nilipotamia

عنتيرو نو بوزنت

الكندر في بلاد البختور

مدرجات =

خريطة منطقة شمال غرق الصومال المنتجة للكندر وقد وضعت

عليها مراكر انتاج الكندر ومواني تصديره . والاسماء اليونانية

الرومانية مكتوبة بالحروف الاخرى وحقا لكلمات الهيرغلانية بها

راس بنه

Panon

INCENSE, THE BACKBONE OF THE RED SEA TRADE IN ANCIENT TIMES

Dr : Abdul Monem Abdul Haleem Sayyed

Associate Professor - Department of History

Abstract

The Red Sea regions were famous for the production of incense in ancient times, particularly the species which is called "frankincense". The best kinds of frankincense were brought from the regions which flanked the gulf of Aden, i.e. in N.E. Somaliland and in Dhufaar. They are the same producing areas nowadays.

Incense was a far more lucrative commodity in ancient times than nowadays, a fact which is due to the use of great quantities of incense in the temples and tombs of the ancient heathen peoples. According to their ideas, no ritual could be performed without the magic power of the incense fumes for they had a belief in a kind of correlation between religion and magic. Such beliefs prevailed in all heathen religions before monotheistic beliefs liberated the human mind from magic.

In addition to this religious factor, incense was the principal aromatic used for secular purposes in ancient times, so we can understand why it was the most lucrative commodity for the people who controlled its production and trade.

Therefore, frankincense formed the major economic pillar of the ancient Red Sea regions, particularly South Arabia. The ancient South Arabians strained every nerve to keep the frankincense producing areas and trade routes under their control. They also tried to impose their supremacy on other producing areas outside Arabia, i.e. in N.E. Somaliland.

The frank incense trade followed several land and maritime routes towards the northern parts of the Red Sea. The most important land route was that which passed through the hinterland of the Asiatic coast of the Red Sea, while the most favourable maritime route was that which ran close alongside its African coast.